الدورة الثلاثون لمهرجان القاهرة السينمائي وسجادة حمراء لم تغيّرشيئاً:

تخمة أشرطة وخانة بمسمى مثير وانكفاء الفيلم المميز

زياد الخزاعي*

■ الحراك الفني الذي عوّل عليه كثيرون في مهرجان القاهرة السينمائي الدولي، بعد «الاطاحة» برئيسه السابق شريف الشوباشي و«تعويضه المتعجل» بالممثل عزت أبو عوف بدا وكأنه سابق لأوانه. فلا أجواؤه أزدهرت بالمختلف، ولا قائمة أفلامه أزدانت بالمكتشف، ولا ما يُفترض بأنهم «نجومه» الأجانب أربكوا اعتيادية أيامه. نعم، هناك كمّ معتبر من الحفلات والرحلات السياحية للضيوف الكُثّر الذين أندهشوا للاعتبارات المبالغ فيها التي وفرها لهم طاقم المهرجان ولكل ما يطلبونه، مقابل القليل الذي تطلبه منهم ادارة المهرجان. فمخرج لا يحضر ندوته الصحافية ليست بمشكلة، والغاء عروض أفلام داخل المسابقة الرسمية ليس بخلل، ومشاجرة مصرية خلال عرض ليست بعار. لا يمكن نعت هذا بالقصورالاداري، فهذا الوصف مزمن ولم يعد كافياً في استخدامه كشتيمة أو تحريض لاحداث تغيير ما في أروقة مهرجان ظل مصراً على تضخمه غير المفهوم وغير المبرر. فوق هذا كلّه، انه العناد في اغفال «حق اختلاف» هذه الدورة عن سابقاتها، بمعنى أن تتمايز بحفنة أفكار أو أحداث «انقلاب ما» في اختيار أشرطة. ليبقى الهاجس مرتهناً في عناوين الخانات الثابتة والتي ـ للغرابة ـ زُيّنت بعناوين جانبية وصل عددها الى 15 عنواناً (أضافة للمسابقات الثلاث الرسمية: الدولية (الأصلية) والعربية وفيلم الديجيتال (المستحدثتين))، منها العنوان ـ الصدمة والمتفذلك للخانة الجديدة «افلام مثيرة للجدل» والتي ضمت ثلاث أشرطة الفرنسي «طنجة» والعراقي الكردي «عبور التراب» والبوسني «القدر» عارية عن الجدل وناقصة للاثارة اللازمة!! هذا ان لم تستفز مشاهدها بعاديتها الفنية التي أراد عنوان الخانة العوراء أن يوسمها بـ«فرادة» غير عادية، وكأن هناك أعمالاً سينمائية تستحق الجدل واثارته، وأخرى يجب أن تُرمى بسلة العروض من دون وجع قلب أو وخزّ ضمير!!

لا يشك أحد بأهمية القاهرة ومهرجانها السينمائي، بيد أن المراقب للدورات العشر الماضية سيُصدم بالمستويات المتواضعة للأفلام المختارة ضمن المسابقة الرسمية، فهناك غياب للشريط المُكتشف مقابل أخريات ذات سمعة دولية لا تجد سبيلها سوى ضمن الخانات الموازية، والسبب، عرضها في مسابقات دولية «تحرق» حظوظها المصرية (حسب المادة الثالثة للائحته التي «لن تسمح بعرض أي فيلم سبق اشتراكه في مسابقة أي مهرجان دولي آخر»). وفي كل مرة أحاول مناقشة الموضوع مع بعض الأصدقاء النافذين يكون الرد مكروراً: «الكبار لا يرغبون في المشاركة خشية «سرقة واستنساخ» أشرطتهم، ناهيك عن الأضرار الجسيمة التي ستلحق بالنسخ أثناء العرض بالآلات المتهالكة». الاعتبار الأول يمكن أن يُبرر الى حد كبير عنوان المداخلة ذات العنوان العريض حول القرصنة في المجال السينمائي (أثناءها اتهم السيد راضي رئيس اتحاد النقابات الفنية اسرائيل بسرقة العديد من الأشرطة المصرية وتركيب وجوه بعض النجوم مثل عادل أمام ويسرا وليلى علوي على سحن وأجساد ممثلين قريبي الشبه بهم وانجاز مشاهد جنسية للنيل من سمعتهم (أو سمعتهن)!). والمشكلة هذه أعقد من ان تُطرح مصرياً حيث أن المراقبة على تجارة الاستنساخ (وفي أغلبه سيئ جداً) شبه معدومة ويمكن شراء أي نسخة لفيلم محلي أو عالمي من على أرصفة وسط البلد.

الى هذا فان اللجنتين الأساسيتين (اللجنة الاستشارية العليا ولجنة المشاهدة) اللتين تزخران بأسماء كثيرة تعدادهم يصل الى المئة وثلاثة أعضاء، يُفترض أنها ذراع قوية يتوجب وصولها الى أي نقطة انتاجية أو توزيعية في العالم للحصول على أشرطة عرض أول عالمي ذات جودة عالية تليق بمسابقة رسمية لمهرجان عريق. ولا شك في أن هناك معوقات ضاغطة تحيل من هذا الوصول، الأمر الذي يعني وجوب طرح خطة بديلة للنظام المعمول به في هذا الاطار. صحيح أن نقاداً ومعنيين في الشأن السينمائي من مصر يجولون في أغلب المهرجانات الدولية سيشرفون على عروض ستُدعى لاحقاً الى خانات «القسم الرسمي خارج المسابقة» و«القسم الاعلامي» و«مهرجان المهرجانات» ومثلها خانة «سينما العرب»، الا أن ما ينقصها في تقديري الشخصي هو المتابعة الدورية المستمرة للنتاج الدولي الذي ينبغي رصده و«اصطياد» الأجود منه وحجزه مسبقاً للمسابقة، أسوة بما يقوم به نظيره في مراكش على سبيل المثال والذي يصر القائمون عليه من الفرنسيين على ضخه بكمّ حصري من «أفلام العرض الخاص أو الأول» داخل مسابقتهم الدولية. هذه الآلية تحتاج الى زخم عمالاتي على مدار العام يركز همّه في ما يتعلق بالمنتوج السينمائي قبل طرحه للمزايدات الخاصة بالمهرجانات الدولية.

ولي قناعة أن فقرة «لا يسمح بعرض فيلم سبق مشاركته» هي علّة تطبيقية بقدر ما هي ضمانة اختلاف وأحقية مهرجان في أن يملك حزمة عروض خاصة به. اذ ما يحدث عملياً هو أن جلّ منتجي العالم (بما فيهم العرب) يضعون في نصب هتمامهم المشاركة في مهرجانات كبرى محددة مثل كان وبرلين والبندقية كركائز بيع وتجوال مهرجانات لاحقة وتوسيع رقعة مشاهدة، فما هي حظوظ مهرجان مثل القاهرة في تحقيق اختراق معتبر ضمن تسابق مضن يحتاج الى جهود دؤوبة، هي في واقع الحال

لقطة من فيلم «الطريق» الفائز بالذهبية

متوافرة في القاهرة من دون حُسن استخدام ودربة مناورة؟

وجدت ضمن البرمجة الموازية أفلاماً عالية الجودة (سنتعرض لبعضها ضمن التغطية الثانية لعروض مهرجان القاهرة السينمائي الأسبوع المقبل)، مرّت على الكثيرين من دون أن تشد انتباههم، فيما كان التركيز على أشرطة المسابقة ذات النفس السينمائي المتواضع على شاكلة «اليوم الثامن في الأسبوع» للمجرية جوديت إلك الذي عانى من رتابة السيناريو المكرور حول حياة السيدة العجوز هانا راقصة الباليه المتقاعدة والتي تواجه محنة التعامل مع عصابة عقارات تحاول التحايل عليها للحصول على حق شراء دارتها العريقة التي تعيش فيها وحيدة بعد وفاة زوجها، بيد أن علاقة حب متأخرة ستفتح لها آفاقاً أسرية أرحب. ولولا أداء الممثلة المخضرمة ماجا كوموروفسكا لكان الشريط تمثيلية تلفزيونية عادية الدراما والأحداث.

ومثله كان باكورة المخرجة التشيكية مارتا نوفاكوفا «مارتا» (الغريب أنه فيلم تخرجها من أكاديمية السينما في براغ!! ولم أجد تبريراً مقنعاً الى ادراجه ضمن المسابقة)، وحكايته لا تتعدى الثلاثي الدرامي التقليدي، وهنا هم: الأب بائع الجلود وابنه ماريك وفتاة حسناء هي جندية من الأعداء. ما تبقى هو استعارات كثيرة حول قيمة العائلة والحب الذي ـ كما هو متوقع ـ بين الشابين وما يتبعه من شبق و شهوات التي ستثير مواجع الأب وغيرته التي ستوصل الجميع الى حافات المواجهة. فيما عانى جديد المصري خالد الحجر «مفيش غير كده» المقتبس عن مسرحية «الخطايا السبع للبرجوازي الصغير» للألماني الكبير برتولد بريخت من حزمة أنكفاءات فنية أساءت للنص الأصلي ولم تصل مطلقاً الى ما يمكن أعتباره رؤيا سينمائية مبتكرة يمكن الانتصار لمقوماتها الفنية أو الايديولوجية على أقل تقدير. فلا المقاطع الغنائية الراقصة سيئة الصنعة كرست مبدأ نظرية «تغريب» بريخت، ولا الخط الدرامي المفكك (مونتاج شديد السوء من منار حسني) ضمّن سردية مقنعة لعائلة تصر على الوقوع في الخطايا لتحقيق مكاسب شخصية من مال وشهرة. ما ينقص فيلم صاحب «أحلام صغيرة» 1993 و«غرفة للايجار» 2002 و«حب البنات» 2004 ان خطابه الأخلاقي مزوّر وبعيد عن حقيقة ما يجري في الشارع المصري. أنه شريط مصنوع لنجمة من طراز نبيلة عبيد التي قدمت أسوأ أداء لها منذ سنوات، وهو كذلك عمل مصطنع يقابل ثنائيات شخصية تشرح دوافعها أغنيات (صورها محسن نصر على شاكلة الفيديو كليب خالية من أي أبتكار) وترسم لمتفرجها صورة كاريكاتورية لأفراد طبقة وضيعة يمارسون الدجل والفاحشة والسرقة لمآربهم التي ستنتج في توصيلهم الى خانة اجتماعية أرقى، من دون أن يتخلوا عن نزقهم ووضاعتهم التي جبلوا عليها.

ناهد سيدة نكدية تخلى عنها زوجها، وكرست حياتها من أجل بنتيها وابنها. وخلاصاً من العوز تحرض صغراهم وأجملهم على الرضوخ للهفة المنتج التلفزيوني نادر (خالد أبو النجا) في تقديم مغنية كليب جديدة يجد فيها ضالته. تقع ناهد في وله خفي مع الشاب الوسيم بيد أن جشعها سيحولها الى وحش اجتماعي لن يتوانى في تقديم شرف الأبنة من أجل مبالغ اخرى. في حين تقع الأخت الأاخرى (تعمل كنادلة ويتوله بها مدير المطعم) في غيرة تدفعها نحو الاصطدام بمعوق أرتقائها (الأم ناهد) خاسرة الحبيب لصالح زميلتها اللعوب. أما الأبن الضال فينخرط لاحقاً في السمسرة الفنية مستخدماً الأختين كأداتي كسب حتى لو تطلب بيع جسديهما.

شجاعة الحجر انه أختار نصاً سجالياً في ما يتعلق بشؤون الطبقة والتخريب الذي يطالها، بيد أنه (ومعه كاتبتا السيناريو كوثر مصطفى وعزة شلبي) أساء تقدير القراءة السياسية التي غُيبت قسراً في عمله. اذ ما نراه ونتابعه هو تابلوه واحد لا وجود لقنوات الخارج ضمن مؤثراته. وما يتبقى لنا هو التخمين هل شخصية نادر يفترض بها أنه القطب الاعلامي الفلاني، وهل ناهد هي الفنانة أياها التي دفعت بأبنتها الى واجهة الدعارة الفنية!! هذا التباسط السياسي وضع الحجر في مأزق فني جعل الحضور الصحافي يغرق في الضحك واطلاق التجريحات والتعليقات، اذ أن استخدامه للمفردات البدائية للتغريب البريختي (الحديث مع الكاميرا مباشرة، الرقص، القطع المفاجئ والأنتقالات المكانية السريعة وغيرها) قوبلت بعدم فهم أو بردود فعل مهزوزة، فالمتفرج (حدث في العرض الخاص أن غالبية الحضور هم من أهل الصحافة والنقد) هُرب أهتمامه من الاسقاط السياسي ليُغرق في لعنة الأغاني بليدة التنفيذ والأختيار.

وحده، الشريط المكسيكي «النظرة الأخيرة» للمخرجة باتريسيا أريغا خوردان وقف شامخاً كنص وجداني عالي الجودة على رغم كونه باكورتها السينمائية (الأكثر غرابة أن هذا العمل أشترك قبل أشهر في مهرجان غوادلاخارا السينمائي وحصل على جائزة الجمهور فلماذا لم تنطبق عليه المادة الثالثة المذكورة اعلاه!!). فهو مزاوجة بارعة بين مفهومي الجمال وتغييبه والأحساس الأنساني وتغليبه. فالصبية الحسناء ماي (أداء مفاجئ من الممثلة الشابة ماريسول ثنتينو) هي آله جمال تخونها الظروف لتجد نفسها وحيدة داخل ماخور تعمل كخادمة لسيدته المتسلطة وبائعات الهوى القاطنات في غرف عُملت بعجالة في محطة قطارات مهجورة.

براءتها (والدتها الغانية الشهيرة بين سائقي الناقلات تفر من قدرها الى الطرف الامريكي من الحدود، وتسلمها الى قوادة الماخور المسمى بـ«سفينة الغليون الصينية» كصفقة ترد الجوع عن والديها الهرمين وأبنتها) تقودها الى فعلين: الأول وقوعها بحب شاب ميسور الحال على أمل الخلاص من ضيم أجتماعي ضاغط قبل أن يهرب لاحقاً بعد أن يراها وهي تقوم بخدمة الزبائن، والثاني تربية فراشات برية لاستنساخها في مطرزات فنية تبث فيها آمال الهروب الذي سيحدث بعد ساعتين من الدراما النقية (ستحرقها مع الخيمة أثر فشل حبها الأول وخروجها سالمة من أول محاولة أغتصاب).

على ماي انتظار اللحظة التي ستقود الرسام التشكيلي الشهير هوميرو (الممثل المسرحي سيرج ماتيو) نحو أنوار الماخور ـ كما هي فراشاتها الباحثة عن النور واللهب ـ ليُبصر الجمال البشري لآخر مرة في حياته، أذ سيفقد بصره أثرها، وهي العلة التي ورثها عن أبيه. هوميرو الذي نبذ كل شيء وأخذ يترصد آخر العمل أشترك قبل أشهر في مهرجان غوادلاخارا السينمائي وحصل على جائزة الجمهور فلماذا لم تنطبق عليه المادة الثالثة المذكورة اعلاه!!). فهو مزاوجة بارعة بين مفهومي الجمال وتغييبه والأحساس الأنساني وتغليبه. فالصبية الحسناء ماي (أداء مفاجئ من الممثلة الشابة ماريسول ثنتينو) هي آله جمال تخونها الظروف لتجد نفسها وحيدة داخل ماخور تعمل كخادمة لسيدته المتسلطة وبائعات الهوى القاطنات في غرف عُملت بعجالة في محطة قطارات مهجورة.

براءتها (والدتها الغانية الشهيرة بين سائقي الناقلات تفر من قدرها الى الطرف الامريكي من الحدود، وتسلمها الى قوادة الماخور المسمى بـ«سفينة الغليون الصينية» كصفقة ترد الجوع عن والديها الهرمين وأبنتها) تقودها الى فعلين: الأول وقوعها بحب شاب ميسور الحال على أمل الخلاص من ضيم أجتماعي ضاغط قبل أن يهرب لاحقاً بعد أن يراها وهي تقوم بخدمة الزبائن، والثاني تربية فراشات برية لاستنساخها في مطرزات فنية تبث فيها آمال الهروب الذي سيحدث بعد ساعتين من الدراما النقية (ستحرقها مع الخيمة أثر فشل حبها الأول وخروجها سالمة من أول محاولة أغتصاب).

على ماي انتظار اللحظة التي ستقود الرسام التشكيلي الشهير هوميرو (الممثل المسرحي سيرج ماتيو) نحو أنوار الماخور ـ كما هي فراشاتها الباحثة عن النور واللهب ـ ليُبصر الجمال البشري لآخر مرة في حياته، أذ سيفقد بصره أثرها، وهي العلة التي ورثها عن أبيه.

المخرجة الجزائرية جميلة الشرقاوي والمخرجة المصرية هالا خليل اللتا تقاسمتا جائزة افضل فيلم عربي

* ناقد سينمائي عراقي يقيم في لندن

تداعيات

محار الخليج

حسين سليمان*

■ تريد الطائرة أن تهبط في مطار البحرين، استدير الى فتاة بجانبي رافقتني الرحلة من لندن فتردد: انا لا أعرف، فقط احضر الدكتوراة بعلم الاجتماع في لندن ـ ثم من كلام الى كلام، هل تعرفين صديق اسمه...هو شاعر.. مثلاً؟ فتهز رأسها: لا. ثم تتابع: يعني أنا..آه.. صديق لك من البحرين؟ ثم تصر المقاعد نحو دولة قطر سقوط وحرارة. يجب خلع الجاكيت على الأقل. الوقت منتصف تشرين الثاني.

في صالة الوصول يقول رجل موغل في السن: هل الأغراض التي معك مرخصة؟ فألتفت إلى من هو بجانبي ـ ربما الكلام له وليس لي، لكن لا أحد بجانبي، وانتبه أنني في صالة المطار عند الجمارك. أنت موظف الجمارك أنت تكلمني أيها السيد؟ نعم الكلام لك إنتْ. فأجيبه: كما ترى لا احمل اي أغراض. حتى في الخيال مثلا ـ ماذا إن كنت تراني من الداخل، وترى أشيائي وأحلامي وآمالي؟ وأجيبه لا، لا أحمل أي أغراض. لكن هذه «اللا» غير مقنعة لأنها خرجت من دون حزم. يجب التعلم على الحزم هنا في بلاد أصلها بادية وصحراء أصحابها ينادون بأصوات من صخر. ماذا يمكنك أن ترى في داخلي؟ يجب الانتباه في هذي البلاد فهي بلاد فتح وتبصير. لا يعلم سوى الله ماتخبئه نفسي وما تخبئه الأرض تحت الأقدام فهي من يابسة وأنا من يابسة وعلى بعد قليل منا البحر الذي يسمونه البحر الفارسي. وقفت سيدة شامية تعرض أغراضها أمام الرجل العجوز ففردها أمامه وقال يختارها: هذي تدخل وهذي شكلها غريب ما تدخل وتريد ورقة من الميناء. لكن نحن في المطار ايها السيد العجوز!

يعدو سرب من الناس أمامي. وأنا واقف. يجب أن تقف. انا صامت. يجب أن تصمت. ازدحام المطارات، أناس يطيرون وأناس يهبطون. آلية مكبرات الصوت تمنع المسافرين من حمل أغراض ليست أغراضهم. حتى أن الحقيبة في يد السيدة الشامية، كأن الحقيبة ليست لها، يدها تقبض على الذي تركته هناك في موطنها ـ مازالت الرائحة معها والذكريات معها ـ حقا جسدها يتألم ولا تريد أن تعلن عنه لا تريد أن تقوله عيناها، وجهها صامت لا ملامح فيه. عكر المسافات.

Is it Al Doha?

أو الدوحة، طبعا بلكنة هندية وباكستانية. وجاءت سيدة فليبينية كي تدلني على الطريق: هو من هنا أيها السيد. من هنا! كيف تدلني سيدة فليبينة على طريق عربي؟ إن كانت اللوحات بالعربية، فأنا أعرف ايتها السيدة هذه اللغة. استطيع أن اتبع الاشارة. لكن الطريق يدور كأنني في متاهة فها أنا مرة أخرى أمام الرجل العجوز فيسألني: أنت منين جيت؟ فأشرت بيدي نحو الطريق الذي يدور، كل الابواب تدور وكأن العالم المغلق يخرج كي يدخل ـ أصلا لا أحد يخرج كل الناس في الداخل ومرورك في هذا الوقت جعل لك فرصة ان تخرج قليلا وترى العالم. ثم أريد مرة أخرى ترخيصا فأنا أعلم ما تحمله. هل لك هذه القطعة؟ فأنظرُ إليها ـ كانت يده تشير إلى أثاث في صالة المطار هي لكم ايها العجوز وليست لي. فيرد: لكنها بالقرب منك وهي أقرب إليك مني! نعم إنها حكمة البدو، حكمة اجدادي تتبعني فأنا أيضا بدوي وقد ربتني البادية، هل تعرف البادية السورية؟ بادية الغرباء، الشوام، الاجانب هي هناك. ولم أرها منذ وقت طويل. علي إذن إيجاد ترخيصا لدخول القطعة؟ لا، القطعة هذه لا تريد ترخيصا لكن أنت الذي تريد ترخيصا؟ إذن علي إيجاد ما تريدونه مني.

جاءت مرة ثانية السيدة الفليبينية كي تدلني على الطريق: هو من هذا المكان أيها السيد. نعم، لا بأس، كيف ترون الطريق فهو كذلك. نظرت الى الطريق فاختفى فقلت لها: إن سمحت مرة أخرى من اين هو الطريق. لكنها كانت قد مضت، علي أن أرى بنفَسي. حسن إدراك اللغة لا يجدي نفعا. سوف أفعل كما طلب مني الرجل العجوز. في الحائط لوحة رسمت عام 1980 فيها قارب مقلوب على جنبه وصياد يرتق الشبكة وقدمه التشكيلية بأصابعها فيها رمل وتعب وفقدان أمل. الصياد يشبه الرجل العجوز الذي طلب مني ترخيصا فوقفت اتأمله أريد أن استعطفه فهو في صورة تصور الحال في بداية القرن الماضي ماذا تريد مني أيها الصياد والبحر والقارب لكنه ظل منهمكا في عمله لم يكن يملك وقتا للإجابة. إذن علي أن أدور. أن أتعلم الدوران.

رأيت السيدة الشامية جالسة على الأرض. ففكرت أن هناك مقاعد وكنابايات فخمة فلماذا الأرض. فأشارت بيدها، اشارت لأنها فهمت ما أفكر به. ماذا يعني مقاعد وكنابايات فخمة حين يطلبون ترخيصا ويوقفونك في مكانك؟

علي أن أترك بطريقة ما الذي أحمله، هل هناك احتمال لذلك؟ لقد وجدت حيلة فأنا ايها السيد العجوز لا أملك قطعة واحدة، يداي فارغتان، سوف ألقي بحملي وأجري، هل هناك ثمة خلاص. فاقترب العجوز من السيدة الشامية وراح يروي لها عن أيام زمان. كان الناس في تلك الايام ملاعين يهربون الذهب والقطع الثمينة بابتلاعها لكن الان هذه الطريقة قد عرفناها. والصياد منهك ينظر في خيوط شبكته القديمة ويريد أن يرتق شيئا لا يعرف من أين يبدأ. قدمه تملأ اللوحة كأنها تدفع العالم نحو الجهة الأخرى. هناك حركة وجري في صالة المطار والناس تتأهب كي تطير أو تحط. وعناق. عناق امرأة غريبة لزوجها الغريب هناك في صالة الدوحة كانت عناقات لغرباء يصلون أو يرحلون.

نظر نحوي بعيني صقر ذلك لأنه أحس برغبتي في الخروج. لكن أين أريد الخروج؟ يحل المساء وتهبط ظلمات الأبحر لا يبقى للبادية من هيبة أضواء وشعلات بعيدة وكنت أريد أن أرى أين هم أهل المحار والردى. كانت الدنيا باكستانيين وهنودا وفلبينيين وغربيين، وأضواء وسيارات ـ مرت سيارة اكسبديشن تقفز على أغاني الراب الامريكية والسائق الثلاثيني يهز رأسه ويعدل عقاله بين حين وآخر. كانت هناك بالقرب من مكدانولد شباب مصرييو اللهجة يحكون عن أخبار الكرة، ودكاكين صيانة ودواليب عالية الجودة وفي طرقات خلفية محلات لتصليح الأحذية الهندية يجلس العامل في جلبابه الباكستاني في كشك يتوسط الشارع يحاول في صنعة انقرضت منذ ثلاثين عاما. ومحلات تصليح تلفزيونات وراديو سيارات. إلى أين أريد أن أخرج لأبقى هنا أمامك أيها العجوز حتى يصيبني الضجر وأصيبه ثم يصيبني وأصيبه إلى أن ينهك احدنا الآخر. إنها محنة، محنة أن تكون بعيدا وقريبا فأنا لا أعرف من أنا؟ إذن تعال ايها...أيهاالصياد منكبا على شبكتك، ألم تنهها، مازالت ممزقة ورتقك لم ينفع تعال إذن وخذني الى حيث أنت، انا جئت اليك. لكن العجوز يعقد ذراعيه كأنه يريد الذي أحمله فخذه إذن هذه البضاعة وخذ هذه الحقيبة، خذني، خذ داخلي وهزني كي يخرج الذي تظنه ذهبا ـ انا بالفعل جئتك احمل الذهب، هزني وخذ ما تريده إلى مكان مغلق فالمدينة إن خرجت إليها فهي محار وصدى.

* كاتب من سورية يقيم في امريكا

مقالة اخيرة للكاتب الفلسطيني الراحل احمد ابو حسين: ماركة الاغتصاب

أحمد أبو حسين*

■ نقل ملحق «الماركر» في صحيفة «هآرتس» قبل أيام خبرا يهم المعجبين بـ«الحداثة» الاسرائيلية، يتحدث عن استطلاع سيمون أنهولت مزودة المعلومات التسويقية العالمية GMI، أن اسرائيل حصلت على المرتبة الأخيرة من بين 36 دولة في مقياس الماركات الوطنية، سواء كان في الاستثمار والشراء والثقافة والتعرف حتى على سكانها، وبناء علاقة مع حكومتها، ويذكر أن عينة البحث شملت 25093 شخصا من 35 دولة في العالم. واذا كان العالم ونحن معه نشهد بواقعية على تفاهة الخدمة والماركات في اسرائيل باستثناء الخدمات الأمنية في العالم لتجار السلاح والصناعات العسكرية التي لم تشمل البحث. لا حدود للكذب والنصب والاحتيال والفساد المخلوط بتدني المستوى الأخلاقي ورياح «السيكستيز» المسمومة من اعتداءات جنسية وتطاول على النساء، وتكشف معاريف يوم 27 تفاصيل هروب السجين «المغتصب المتسلسل» أو متعدد الاغتصابات وعن احضاره الى المحكمة لجلسة تأجلت أصلا، ولا دعوة من قبل المحكمة لاحضاره، والاهم من ذلك أن الصحيفة تكتب «من السخرية الاعتقاد أن احضاره بالخطأ الى المحكمة هو سبب هروبه من ساحة المحكمة أمام أعين الشرطيين ومن على بوابة كهربائية وهو مكبّل». وفي الصفحة نفسها تكشف «معاريف» أن الشرطة تنوي تكثيف الحراسة على سبعة قضاة، منهم قضاة في المحكمة العليا. ويحدثونك عن نزاهة الشرطة والأمن وآلاف النساء الاسرائيليات يعشن حالة من الرعب وخاصة اللواتي يقطن في الطوابق الأرضية.

الاغتصاب وقتل النساء حتى على خلفية شرف العائلة ليست ماركة وطنية، ولا يمكن أن تكون كذلك. وهذا القتل قائم وله حضور في مجتمعات ما زال التخلف الاجتماعي ينخر في أجسادها، لكن حالة بيني سيلع هي ماركة وطنية بامتياز تتكرر عدة مرات في السنة الواحدة، ولأننا نكتب عن اسرائيل المسكونة بأخبار الاغتصاب والاعتداءات الجنسية من الرئيس مرورا بالوزير حتى المواطن «المحروم»، لا نبغي أن ندخل بالمقارنة والتعميم والدفاع عن مجتمعنا العربي الذي ما زال يعاني من آفات مجتمعية مخزية وفضائحية من القتل على شرف العائلة والزواج المبكر والاعتداءات الجنسية المختلفة والمخفية، انما أردنا أن نذكّر بالحالة الاحتفالية لوسائل الاعلام الاسرائيلية لكل عملية قتل أو اغتصاب في أوساط العرب، وان كنا نخجل بالاثنتين، القتل وشفاء غليل الاعلام الاسرائيلي الذي طالما بحث عن «سكوب» صاخب.

اغتصاب عقول ...

طالب أولمرت الفلسطينيين بتشكيل حكومة فلسطينية جديدة وبعدها سنشهد «محادثات حقيقية مفتوحة وجدية». وقال انه سيمنح الفلسطينيين «أراضي واسعة»، و«ان ذلك يتيح تشكيل دولة فلسطينية حقيقية مع تواصل جغرافي في الضفة الغربية، مع سيادة كاملة وحدود معروفة»، وبحسبه سوف يتم في هذا الاطار ترسيم حدود اسرائيل بناء على رسالة بوش. كلام يغتصب الأرض وعقول بعض العرب والفلسطينيين.

وفي ليلة القدر المقدسية هذا العام ظهر المهدي المنتظر بعمامة خضراء حاملا سجلا بشجرة عائلته.. وبكى المصلون صبيحة يوم العيد في جامع الجزّار في عكا على ظهور شعرة «الرسول» في المسجد ..

وقتل شابان من قرية جليلية.. واصطدمت سيارة كانت مسرعة الى رحلة العيد في باص راح ضحيتها شاب.. وغادر عشرة آلاف عربي من الداخل الى شرم الشيخ للاستجمام في العيد.. ونشر موقع دعائي على الانترنت دعوة عامة لدخول الجنة شروطها وصلت الى 20 بندا. (مجموعة أخبار محلية تغتصب العقول أيضا)..

سني، شيعي.. مسلم، مسلم سني، مسلم شيعي.. أرثوذكس، كاثوليك.. بروتستانت، موارنة، مسيحي، مسيحي شيعي، مسيحي سني، أعياد للطوائف الشرقية، أعياد للطوائف الغربية، شيخ، مفت، مولى، معتكف راهب فرانسيسكان. خوري، أبوّنا، ماما.. بطرك، بكركي، كنيسة العذراء، البشارة، الناصرة بيت لحم، مكة المكرمة، المدينة المنورة، الأزهر الشريف، النجف الأشرف، الكعبة المشرّفة، والأقصى الشريف. بيار الجميّل وسمير جعجع وجورج عدوان، أنطون زهرا ونوري المالكي وطارق الهاشمي.. (كلام ليس له علاقة بهذيان الأنفلونزا.. فقط..)

* كاتب من فلسطين، وهذه آخر مقالة ارسلها الينا الكاتب الفلسطيني الراحل قبل ايام ولم يتسن له رؤيتها منشورة.